



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

تقييم حالة | 29 تشرين الأول / أكتوبر، 2023

كيف سيطرت كتائب القسام على "فرقة غزة"؟ الأداء القتالي للمقاومة الفلسطينية ومعركلات العمل العسكري الإسرائيلي البري

أحمد قاسم حسين

كيف سيطرت كتائب القسام على "فرقة غزة"

سلسلة: تقييم حالة

29 تشرين الأول / أكتوبر، 2023

أحمد قاسم حسين

باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مدير تحرير دورية «سياسات عربية»، عمل مدرسًا مساعدًا في كلية العلوم السياسية - جامعة دمشق، حاصل على الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة فلورنسا - إيطاليا. تتركز اهتماماته البحثية في نظريات العلاقات الدولية.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2023

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتمامًا لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقتها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعائن، قطر

هاتف: + 974 40354111

www.dohainstitute.org

المحتويات

1 مقدمة

1 أولاً: الحرب اللامتناهية: إسرائيل والمقاومة

4 ثانياً: الخطة العملياتية لكثائب القسام في معركة طوفان الأقصى

4 1. عملية الدعم الناري

4 أ. صواريخ قريبة المدى

5 ب. صواريخ بعيدة المدى

6 2. عملية إعماء العدو

6 3. عملية فتح الثغرات

7 4. عملية المناورة

7 5. عملية استدعاء القوات

7 ثالثاً: احتمالات العمل البري المحدود/ الموسع ومعرقلاته

8 رابعاً: معرقلات العمل العسكري البري ضد قطاع غزة

8 1. قذائف الهاون والصواريخ القريبة المدى

8 2. الصواريخ المضادة للطائرات والمروحيات

9 3. الطائرات المسيّرة الاستخباراتية والهجومية

9 4. الأنفاق القتالية: شرايين المقاومة

01 5. الإرادة والعزيمة اللتان يتمتع بهما المقاتل الفلسطيني

10 خاتمة

11 المراجع

11 العربية

11 الأجنبية

مقدمة

شنت كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية «حماس»، عملية عسكرية خاطفة في منطقة «غلاف غزة»، في 7 تشرين الأول / أكتوبر 2023، أطلقت عليها اسم «طوفان الأقصى»، وكانت هذه العملية مفاجئة وصادمة بالنسبة إلى إسرائيل. ركز الهجوم على مقر «فرقة غزة» في جيش الاحتلال الإسرائيلي والمواقع والقواعد العسكرية التابعة لها، لكنه سرعان ما توسع ليشمل العديد من الكيبوتسات في منطقة غلاف غزة، وقد أسر مقاتلو القسام عدداً من العسكريين والمدنيين، وعادوا بهم إلى غزة، في ظل مواجهة غير متناظرة من الناحية العسكرية بينهم وبين جيش الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما يطرح تساؤلات عن الأداء القتالي لكتائب القسام، على الرغم من الحصار المفروض على قطاع غزة منذ أكثر من 17 عامًا؛ من ناحية تطوير قدراتها العسكرية، ومن ناحية إدخال أسلحة جديدة محلية الصنع في معركة طوفان الأقصى. فما الخطة العملية التي وضعتها كتائب القسام لتنفيذ هذه العملية التي تضمنت عنصرًا المفاجأة والصدمة سياسيًا وعسكريًا في إسرائيل؟ وما المعرقات، على المستوى العسكري، التي قد تجعل من العمل البري المحدود/ الموسع مكلفًا بالنسبة إلى إسرائيل في قطاع غزة؟

أولاً: الحرب اللامتناظرة: إسرائيل والمقاومة

تعد الحروب اللامتناظرة Asymmetric Warfare نوعاً من أنواع المواجهات العسكرية التي تدل على وجود فارق كبير في القوة والقدرات والتدريب بين الأطراف المتحاربة. وعموماً، يكون طرفٌ في هذه الحرب ذا قوة عسكرية هائلة، في حين يكون طرفٌ آخر ضعيفاً نسبياً. وهذا الأمر ينطبق على المواجهات العسكرية في فلسطين بين جيش الاحتلال الإسرائيلي وقوى المقاومة العسكرية في مراحل تاريخية مختلفة، أبرزها معركة طوفان الأقصى؛ من ناحية وجود فوارق كبيرة في ميزان القوة بين كتائب القسام وجيش الاحتلال الإسرائيلي متعلقة بالقدرات العسكرية، والتكنولوجية، والموارد، والتدريب.

تتميز الحروب اللامتناظرة باستخدام الطرف الأضعف في معادلة الصراع تكتيكات غير تقليدية تقوم على عنصرَي المرونة والتكيف على نحو يجعله يغير من استراتيجياته وفقاً لطبيعة المعركة. ففي حالة الهجوم، يلجأ الطرف الأضعف في معادلة الصراع إلى الاعتماد على الهجمات الانتحارية، والعبوات الناسفة، والصواريخ، والمسيرات المحلية الصنع، واستخدام التكنولوجيا المحدودة والمتاحة. أما في حالة الدفاع، فيعمل على توظيف معرفته بالبيئة المحلية، والاستفادة من التضاريس والمناطق الجغرافية التي تعزز قدراته الدفاعية، فضلاً عن العمل على التعبئة والتنشئة السياسية والمعنوية بالنسبة إلى المقاتلين.

لقد شنت قوات الاحتلال الإسرائيلي خلال الفترة 2003 - 2023 نحو 33 عملية عسكرية كان فيها قطاع غزة الهدف الرئيس أو الحصري¹، أبرزها المواجهات العسكرية بين قوى المقاومة الفلسطينية وجيش الاحتلال الإسرائيلي (في الأعوام: 2008 / 2009، و2012، و2014، و2021)، وقد كانت ساحتها الأساسية قطاع غزة المحاصر منذ 17 عامًا. واتسمت تلك المواجهات بأنها «مواجهات غير متناظرة»² Asymmetrical Warfare؛ نظراً إلى التفاوت في القدرات العسكرية بين الطرفين من ناحية، ونظراً إلى التكتيكات والاستراتيجيات التي تتبعها قوى المقاومة

1 لمزيد من التفاصيل عن الحروب الإسرائيلية على قطاع غزة، ينظر: مجد أبو عامر ووديع العرابيد، "الحرب الإسرائيلية على حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين: خلفيات معركة 'وحدة الساحات' وآثارها الاستراتيجية"، ورقة استراتيجية، رقم 6، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022/9/20، ص 3-8. شوهد في <https://bit.ly/3OtcL66>، في: 2023/10/13

2 لمزيد من الاطلاع على الحرب غير المتناظرة ينظر: Rod Thornton, *Asymmetric Warfare: Threat and Response in the 21st Century* (Cambridge: Polity, 2007); Martin Van Creveld, *The Transformation of War* (New York: Free Press, 1991).

الفلسطينية في مواجهة القوة الغاشمة لجيش الاحتلال الإسرائيلي من ناحية أخرى. ومع ذلك، لم تستطع إسرائيل المتفوقة عسكرياً (من حيث العدد والعدة والمستوى التكنولوجي) والمدعومة دولياً (سياسياً وإعلامياً) في هذه الحروب غير المتكافئة (ينظر الجدول 1) تحقيق نصر عبر حسم المواجهات لمصلحتها، وفشلت في تحقيق الأهداف التي تضعها عند كل مواجهة؛ مثل ضرب البنية التحتية للمقاومة، وإضعاف قدراتها، وردعها عن إطلاق الصواريخ تجاه عمق الأراضي المحتلة، بل إن الأمر على عكس ذلك؛ فقد ازدادت قوة المقاومة الفلسطينية نسبياً في قطاع غزة. كان اندلاع المواجهات العسكرية السابقة، بعد كل عدوان إسرائيلي على قطاع غزة، يقابله ردٌّ من قوى المقاومة، تعقبه هدنة هشة بوساطة دول إقليمية ودولية، إلا أن معادلة الاشتباك بين إسرائيل وقوى المقاومة تغيرت في معركة «سيف القدس»، في أيار/ مايو 2021، حين شنت قوى المقاومة في قطاع غزة ضربات صاروخية رداً على اعتداءات إسرائيلية على مدينة القدس.

الجدول (1)

الفوارق في القدرات العسكرية بين الجندي الإسرائيلي والمقاتل الفلسطيني في كتائب القسام

عصر المقارنة	المقاتل الإسرائيلي	المقاوم الفلسطيني
التكنولوجيا والمعدات	أسلحة متطورة (رشاشات ثقيلة وخفيفة ومدفعات، وطائرات من دون طيار، ومروحيات، ودبابات، وأنظمة دفاع جوية متطورة). تمتلك إسرائيل نظام دفاع صاروخي متقدماً يسمى "القبة الحديدية" Iron Dome ⁴ للدفاع عن نفسها من الصواريخ البالستية.	أسلحة خفيفة ومتوسطة البنادق والقذائف اليدوية، وأنظمة صواريخ، وأنظمة دفاع جوي محلية الصنع ³ .
التدريب والخبرة وشبكة التحالفات	يمتاز الجيش الإسرائيلي بالتدريب الشامل والمتطور الذي يشمل التكتيكات والتقنيات الحديثة، وقد أرسلت الولايات المتحدة حاملتي طائرات، وذخائر القبة الحديدية، وطائرات إف 15، وإف 16، لمساندها. أما بريطانيا، فقد أرسلت سفينتين حربيتين وطائرة بي 8، وسرية من مشاة البحرية الملكية، في حين أرسلت ألمانيا مسيرتي "هيرون تي بي" ⁵ .	الاعتماد على تدريبات أساسية، ولكن ذلك ليس في مستوى الجيش الإسرائيلي.

3 "صواريخ حماس: قسام فرنسيس ثم جعري"، الجزيرة نت، 2014/7/10، شوهد في 2023/10/21، في: <http://bit.ly/2RNzJHj>

4 Aisling Ní Chúláin, "The Iron Dome: How does Israel's Missile Defence System Work?" *Euronews*, 21/10/2023, accessed on 22/10/2023, at: <https://shorturl.at/iPS69>

5 "Germany to Support Israel in Its Defence Efforts with Two Drones, Minister Says," *Reuters*, 12/10/2023, accessed on 22/10/2023, at: <https://shorturl.at/adoKU>

يواجه صعوبات في الحصول على إمدادات، ودعم لوجستي، بسبب القيود على التحرك والموارد المحدودة.	ذو بنية لوجستية كبيرة وتوريدات موثوقة من الدولة. في عام 2022، بلغت نسبة الإنفاق العسكري 4.51 في المئة من إجمالي الناتج المحلي الذي يقدر بـ 522 مليار دولار أميركي (23.5 مليار دولار). ⁶	الدعم اللوجستي والإمداد
استراتيجيات الحرب غير التقليدية، اللامتناظرة التي تقوم على عنصرَي المرونة والتكيف.	يستخدم تكتيكات عسكرية متطورة تشمل التكتيكات الجوية والبرية والبحرية، وتربطها شبكة من التحالفات العسكرية.	التكتيكات والاستراتيجيات
تشكيلات عسكرية تحاكي الجيوش النظامية، لا يمكن مقارنة إمكاناتها بجيش الاحتلال.	يتكون من فصائل متعددة تشمل جيش البر، وسلاح الجو، وسلاح البحر، وقوات الاحتياط التي بلغ عددها في المواجهة الأخيرة 300 ألف جندي. ⁷	الهيكل التنظيمي والتنظيم العسكري

المصدر: من إعداد الباحث، استناداً إلى: «صواريخ حماس: قسام فرنطيسي ثم جعيري»، الجزيرة نت، 2014/7/10، شوهد في <http://bit.ly/2RNzJHj>، في: 21/10/2023

Aisling Ní Chúláin, "The Iron Dome: How does Israel's Missile Defence System Work?" *Euronews*, 21/10/2023, accessed on 22/10/2023, at: <https://shorturl.at/iPS69>; "Germany to Support Israel in Its Defence Efforts with Two Drones, Minister Says," *Reuters*, 12/10/2023, accessed on 22/10/2023, at: <https://shorturl.at/adoKU>; Aaron O'Neill, "Israel: Ratio of Military Spending to Gross Domestic Product (GDP) from 2012 to 2022," *Statista*, 4/10/2023, accessed on 21/10/2023, at: <https://shorturl.at/fiNS0>; "Israel Drafts 300,000 Reservists as It Goes on the Offensive," *Reuters*, 9/10/2023, accessed on 20/10/2023, at: <https://shorturl.at/ntERZ>

أسفر الهجوم العسكري الذي شنته كتائب القسام على مواقع فرقة غزة العسكرية، على نحو غير مسبوق، في صباح يوم السبت، 7 تشرين الأول / أكتوبر 2023، عن سيطرة كبيرة على عدد من القواعد العسكرية ونقاط المراقبة المنتشرة في غلاف غزة، تتمثل مهمتها الرئيسية في رصد تحركات المقاومين في غزة وضبطها. وقد سيطرت عناصر من المقاومة الفلسطينية على نحو 20 مستوطنة إسرائيلية داخل ما يسمى «الخط الأخضر»⁸. وأسفرت هذه العملية النوعية، وفقاً للمعطيات التي أعلنها المتحدث باسم الجيش

⁶ Aaron O'Neill, "Israel: Ratio of Military Spending to Gross Domestic Product (GDP) from 2012 to 2022," *Statista*, 4/10/2023, accessed on 21/10/2023, at: <https://shorturl.at/fiNS0>

⁷ "Israel Drafts 300,000 Reservists as It Goes on the Offensive," *Reuters*, 9/10/2023, accessed on 20/10/2023, at: <https://shorturl.at/ntERZ>

⁸ "عملية 'طوفان الأقصى': انهيار الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه غزة"، **تقدير موقف**، وحدة الدراسات السياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023/10/13، شوهد في 2023/10/13، في: <https://rb.gy/c9xei>

الإسرائيلي، منذ 7 تشرين الأول/ أكتوبر، عن مقتل 306 من الجنود والضباط الإسرائيليين، وأسّر 203 من عناصر هذا الجيش⁹، في حين بلغ العدد الكلي للقتلى الإسرائيليين أكثر من 1400 قتيل من المدنيين والعسكريين.

ثانياً: الخطة العملياتية لكتائب القسام في معركة طوفان الأقصى

عملت كتائب القسام في مرحلة وضع الخطة العملياتية لمعركة طوفان الأقصى، مستندة إلى تقدير الموقف الاستخباراتي من خلال دراسة تكوين العدو وانتشاره وتكتيكاته في منطقة غلاف غزة، وتحليل منطقة العمليات، ودراسة الأرض والطقس وتأثيرهما في سير العملية. وقد مارست خداعاً على المستويين الاستراتيجي والعملياتي من خلال إخفاء النيات والاستعدادات والتجهيزات، وإخفاء استدعاء القوات وحشدتها؛ ما ساعد في تعزيز الموقف العملياتي وتحديد أفضل السبل المتعلقة بتنفيذ عملية طوفان الأقصى. ويمكن تلخيص الخطة العملياتية¹⁰ على النحو التالي:

1. عملية الدعم الناري

نُشرت منصات لإطلاق الصواريخ في مواقع محددة هدفت إلى تثبيت القواعد العسكرية في منطقة غلاف غزة من أجل دعم العمليات العسكرية الأخرى التي ستقوم بها قوات المناورة والهندسة. وجرى قصف المواقع العسكرية في فرقة غزة بنحو 3500 من الصواريخ والقذائف، وتثبيت القواعد العسكرية الجوية حتسريم وحتسور وتلوف وبلماخيف، وقواعد الدعم اللوجستي بنحو ألف صاروخ، ودعم حركة قوات المناورة للمقاومة خارج فرقة غزة بنحو ألف صاروخ أيضاً¹¹، وجرى تأمين الغطاء الجوي لحركة قوات المناورة عبر منظومات الدفاع الجوي المختلفة. وقد استطاعت كتائب القسام، على الرغم من الحصار الخانق على قطاع غزة، تطوير قدرتها الصاروخية.

ولا بد من التطرق إلى قوة الصواريخ المحلية التي طورتها كتائب القسام خلال العقدين الماضيين، والتي قامت بتهريبها من خارج القطاع، واستخدمتها في عملية طوفان الأقصى، وهي كما يلي:

أ. صواريخ قريبة المدى

شكّل تصنيع صواريخ «قسام 1»، و«قسام 2» وإطلاقها، التي استخدمت من قطاع غزة والضفة الغربية، في الفترة 2002 - 2005، تحولاً نوعياً في الصراع بين كتائب القسام وإسرائيل. وعلى الرغم من أنها كانت تفتقر إلى نظام توجيه، وغير دقيقة في إصابة أهداف محددة، وكانت أضرارها البشرية والمادية في الجانب الإسرائيلي محدودة، فإن انعكاساتها السيكولوجية على سكان المستوطنات في غلاف غزة كانت ملحوظة. ولا توجد معلومات تقنية عن صواريخ كتائب القسام من مصادر حماس الرسمية، لكن الكتاب المرجعي في الصواريخ المدفعية، الصادر عن مؤسسة الأبحاث الدفاعية النرويجية في عام 2010، وضع جدولاً يبيّن فيه المعلومات الأساسية عن صواريخ القسام، على النحو الموضح في الجدول (2).

9 "الجيش الإسرائيلي يعلن ارتفاع عدد قتلى جنوده إلى 306 منذ 7 أكتوبر"، الحرة، 2023/10/19، شوهد في 2023/10/20، في: <https://shorturl.at/kntG4>

10 اعتمدنا في حصر عناصر الخطة العملياتية على البيانات والتصريحات العسكرية التي صدرت عن رئيس أركان كتائب القسام، محمد الضيف، الذي أعلن بدء العملية العسكرية، والناطق العسكري لكتائب عز الدين القسام، وما نشرته كتائب القسام أيضاً للعملية على موقعها الرسمي من تسجيلات مصورة.

11 "كلمة الناطق العسكري باسم كتائب عز الدين القسام عن مجريات معركة 'طوفان الأقصى'، الجزيرة نت، 2023/10/12، شوهد في 2023/10/14، في: <https://shorturl.at/lvMU2>

الجدول (2)

معلومات تفصيلية عن أجيال صواريخ القسام المحلية الصنع

قسام 3	قسام 2	قسام 1	
170	150	60	القطر (ملم)
90	32	5.5	الوزن (كغ)
200+	180	79	الطول (سم)
10	3-8	3	المدى (كلم)
10	10-20	1/2	الحمولة المتفجرة (كغ)

المصدر: «صواريخ حماس: قسام فرنطيسي ثم جعبري»، الجزيرة نت، 2014/7/10، شوهد في 2023/10/14، في: <http://bit.ly/2RNzJHj>

استخدمت المقاومة في معركة طوفان الأقصى صواريخ القسام القريبة المدى بكثافة من خلال الرشقات المتواصلة مستهدفةً البلدات في غلاف غزة، وقد وضع رئيس هيئة أركان كتائب القسام، محمد الضيف، أن «الضربة الأولى لمواقع جيش الاحتلال الإسرائيلي ومطاراته وخلال أول 20 دقيقة من العملية بلغت نحو 5000 صاروخ وقذيفة»¹²، في معظمها من هذا النوع من صواريخ القسام. وقد استخدمت كتائب القسام أيضًا صاروخ «فجر-5» الإيراني الصنع، الذي أطلق أول مرة في مواجهة عام 2012، وهو صاروخ أرض - أرض، صُمم في تسعينيات القرن العشرين، وبلغ مدى الجيل الأول منه 40 كيلومترًا. وفي أيار/ مايو 2006، قامت شركة الصناعات الجوية والفضائية الإيرانية بتطوير صواريخ «فجر-5» التي يراوح مداها بين 68 و75 كيلومترًا، واستمرت المقاومة في استخدام صواريخ «فجر-5» في مواجهتي عاقي 2021 و2023.

ب. صواريخ بعيدة المدى

- لم تقتصر المواجهة بين المقاومة وجيش الاحتلال على الصواريخ القريبة المدى، بل شملت أيضًا إطلاق المقاومة العديد من الصواريخ البعيدة المدى التي أخذت تسميتها بعدًا رمزيًا؛ فقد أطلقت كتائب القسام عليها ألقاب قادتها الذين اغتالهم الاحتلال، وهي:
- صاروخ "M75": يرمز إلى إبراهيم المقادمة الذي اغتيل في عام 2003. مداه 75 كيلومترًا، وهو برأس تفجيري يزن 70 كيلوغرامًا.
- صاروخ "R160": يرمز إلى عبد العزيز الرنتيسي الذي تولى رئاسة الحركة بعد اغتيال الشيخ أحمد ياسين، وقد اغتيل عام 2004. ويزيد مدى هذا الصاروخ على 120 كيلومترًا، وهو برأس تفجيري يزن 45 كيلوغرامًا.

12 "رسالة صوتية لقائد القسام لإطلاق عملية 'طوفان الأقصى'", الجزيرة نت، 2023/10/7، شوهد في 2023/10/16، في: <https://shorturl.at/kzV18>

- صاروخ "J80": يرمز إلى قائد كتائب القسام أحمد الجعبري الذي اغتيل عام 2012.
- وقد أدخلت كتائب القسام في معركة سيف القدس وعمليات طوفان الأقصى مجموعة جديدة من الصواريخ البعيدة المدى، وهي كما يلي:
- صاروخ العطار: نسبة إلى القيادي، في كتائب القسام، رائد العطار. ويصل مدى هذا الصاروخ إلى 120 كيلومتراً، ويحمل رؤوساً متفجرة ذات قدرة تدميرية عالية، وقد استُخدم أول مرة في قصف المستوطنات في ضواحي القدس، في 10 أيار/ مايو 2021، رداً على استهداف الاحتلال الإسرائيلي للأبراج السكنية في قطاع غزة وتدميرها، ثم استُخدم في توجيه ضربة إلى تل أبيب وضواحيها.
- صاروخ "SH85": يحمل اسم القيادي محمد أبو شمالة، ويبلغ مداه 85 كيلومتراً، أطلقته كتائب القسام تجاه تل أبيب ومطار بن غوريون.
- صاروخ «عياش 250»: هو الإصدار الأخير الذي أعلنت عنه المقاومة من الصواريخ البعيدة المدى، وهو الأبعد مدى، وينسب إلى أحد أبرز قادة العمل العسكري في بداياته، وهو المهندس يحيى عياش. وقد أُطلق الصاروخ أول مرة في المواجهة الحالية يوم 13 تشرين الأول/ أكتوبر تجاه المنطقة الشمالية في صفد (إسرائيل) على بعد نحو 211 كيلومتراً من قطاع غزة.

2. عملية إعماء العدو

تمثلت هذه العملية في استهداف أبراج المراقبة والإرسال ومنظومات الاتصال والتشويش؛ من خلال الطيران المسير، وسلاح القنص، والرشاشات، ومضادات الدروع، والتشويش السيبراني، وذلك بإعماء العدو عن رصد تقدم القوات نحو الجدار الفاصل، الجدار الفولاذي، وهو ما ساهم في تعطيل التواصل والتنسيق بين وحدات القوات في فرقة غزة، وعرقل قدرتها على إرسال الأوامر والمعلومات واستقبالها تحت تأثير عنصر الصدمة والمفاجأة؛ ما يجعل من الصعب على العدو تنفيذ استراتيجياته بطريقة فعالة. وقد خلق ذلك حالة من التشتت وضعفاً في القدرة على التحرك، وزاد من حالة الفوضى والتضارب بين القوات نتيجة لضعف الاتصال. واعتمدت كتائب القسام في تنفيذ ذلك على المسيرات الدفاعية والهجومية التي قامت بتطويرها.

3. عملية فتح الثغرات

شملت هذه العملية فتح ثغرات في منظومات الجدار الفاصل، الجدار الفولاذي، من خلال قوات سلاح الهندسة لتأمين مرور قوات المشاة؛ ما سمح بخلق نقاط ضعف في خطوط دفاع العدو، وساعد في كسر التشكيلات الدفاعية، وأضعف من قدرتها، وخفف من خسائر الهجوم في الساعات الأولى التي لم تكن فيها إسرائيل قد امتصت الصدمة بعد، وهو ما صعّب على جيش الاحتلال تحليل الوضع بسرعة واتخاذ الإجراءات الفعالة للرد. الجدير ذكره أن الجدار الفولاذي هو حصن منيع مزوّد بتقنيات عالية، ومليء بالرادارات وكاميرات الرقابة وأجهزة الاستشعار في باطن الأرض، وقد جرى بناؤه بين غزة وإسرائيل في الفترة 2018 - 2021، بتكلفة باهظة بلغت نحو مليار دولار أميركي، وتطلب بناؤه نحو 140 طناً من الحديد والصلب، وهو مجهز بقسم خرساني تحت

الأرض يبلغ سُمكه مترًا، ويقدر عمقه بعشرات الأمتار، للحؤول دون أي اقتحام عبر حفر الأنفاق من قطاع غزة، وقد اخترقته بسهولة كتائب القسام¹³.

4. عملية المناورة

يتمثل المحور الرئيس لهذه العملية في تحقيق الأهداف العسكرية في عملية طوفان الأقصى من خلال التحرك والتكتيكات العسكرية؛ مثل اقتحام المواقع، والاشتباك مع العدو، وخطط الانسحاب بالأسرى، على نحو يضمن التنقل بين المواقع واستخدام الحركة السريعة للتحفيز وتخطي العقبات. وقد ارتكزت العملية، على نحو رئيس، على قوات المشاة، ومشاة البحرية، وسرب صقر للطيران الشراعي، وشكل استخدام كتائب القسام الطائرات الشراعية لتنفيذ عمليات إنزال خلف خطوط جيش الاحتلال في غلاف غزة فشلًا استخباراتيًا كبيرًا. ويعزى فشل منظومات الدفاع الجوية الإسرائيلية في اعتراض الطائرات الشراعية قبل وصولها إلى أهدافها إلى أن بطارياتها، وتحديدًا القبة الحديدية التي تتركز في محيط القطاع، غير مؤهلة لإسقاط هذه الطائرات؛ لأنها تحلق على ارتفاعات منخفضة¹⁴. واشتملت الخطة العملياتية على عملية قطع الإمداد والنجدة عن العدو؛ إذ تضمنت استهداف تعزيزات العدو من خلال المسيّرات وسلاح مضاد للدروع، إضافةً إلى عملية الاتصال والدعم اللوجستي وخطة الإعلام والقيادة والسيطرة العملياتية.

5. عملية استدعاء القوات

جرى تنفيذ الاستدعاء والحشد للقوات بـ 3 آلاف مقاتل انخرطوا في عملية المناورة، و1500 مقاتل في عمليات الدعم والإسناد، وذلك في الوقت المناسب، وفي أعلى درجات السرية، وصولاً إلى إصدار الأمر العملياتي من قائد هيئة الأركان، محمد الضيف، بتنفيذ العملية في ساعة الصفر. وما إن تلقت القوات في أماكن التجمع الأمر العملياتي حتى نُفذت العملية، وبدأت المعركة على نحو منسّق ومتزامن، ودُمرت فرقة غزة كلها، البالغ عددها 15 موقعًا عسكريًا¹⁵، وتطور الهجوم داخل منطقة العدو الجنوبية، وقد شمل جميع مواقع فرقة غزة.

ثالثًا: احتمالات العمل البري المحدود/ الموسع ومعرقلاته

بعد انتهاء العملية العسكرية التي نفذتها حماس في غلاف غزة، وامتصاص إسرائيل الصدمة التي كلفتها خسائر بشرية كبيرة، وإذلالاً طال جيشها ومؤسستها الأمنية، أعلن رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، أن إسرائيل باتت في حالة حرب، واستدعت وزارة الأمن أكثر من 300 ألف من قوات الاحتياط، استعدادًا لشنّ حرب على قطاع غزة، وحشدت قوات على الجبهة الشمالية؛ تحسبًا لتفجّر الوضع العسكري على الحدود مع لبنان، ومن أجل ردع حزب الله عن الانخراط في الحرب أيضًا. وتشكلت في إسرائيل حكومة طوارئ خلال الحرب مع قطاع غزة. واستمر القصف العنيف لغزة من دون أي اعتبار لقواعد القانون الدولي؛ إذ استهدفت إسرائيل سكان غزة المدنيين برًا وبحرًا. وأسفر القصف الإسرائيلي ذو الطابع الانتقامي، حتى الآن، عن أكثر من 5 آلاف شهيد، و14245 جريحًا، معظمهم من النساء والأطفال، ودمرت أحياء بكاملها في ظل انهيار للقطاع الصحي؛

¹³ "لوفيغارو: فشل كارثي لجدار إسرائيل الحصين مع غزة"، الجزيرة نت، 2023/10/10، شوهد في 2023/10/16، في: <https://shorturl.at/lowB0>

¹⁴ صالح النعامي، "الطائرات الشراعية أداة هجومية مفاجئة لدى المقاومة الفلسطينية: كيف أفلتت من القبة الحديدية؟"، العربي الجديد، 2023/10/8، شوهد في 2023/10/15، في: <https://shorturl.at/fGLNU>

¹⁵ "كلمة الناطق العسكري باسم كتائب عز الدين القسام عن مجريات معركة 'طوفان الأقصى'".

ما ينذر بكارثة إنسانية في القطاع¹⁶. واستناداً إلى وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا»، فإن مليون شخص أُجبروا على الفرار من منازلهم¹⁷. وقد حشدت إسرائيل قوات كبيرة في غلاف مدينة غزة استعداداً للسيناريو الأكثر ترجيحاً، وهو الغزو البري للقطاع، والقضاء على حماس، بحسب تصريحات المسؤولين السياسيين والعسكريين الإسرائيليين؛ ما يطرح تساؤلاً على المستوى العسكري متعلقاً بالمعركلات التي تحول دون نجاح العملية البرية، أو رفع تكلفتها المادية والبشرية، على أقل تقدير، بالنسبة إلى جيش الاحتلال الإسرائيلي.

رابعاً: معركلات العمل العسكري البري ضد قطاع غزة

1. قذائف الهاون والصواريخ القريبة المدى

تشكّل قذائف الهاون، إلى جانب الصواريخ القريبة المدى، تحدياً لقوات الاحتلال الإسرائيلي في كل المواجهات السابقة، وكان لها تأثير بارز في مسار المعركة الأخيرة، خاصة أن جيش الاحتلال الإسرائيلي لا يملك إنذاراً فعالاً لمواجهتها، وهي تشكّل ثغرة أمنية أيضاً من حيث توفير الأمن للقوات المتمركزة في القرب من الكيبوتسات الإسرائيلية¹⁸ في غلاف غزة، أو السكان الذين نزحوا منها، على نحو جماعي، أو باتوا حبيسي الملاجئ؛ إذ يتطلب وقف قذائف الهاون عملية عسكرية برية ترصد مرابض هذه القذائف وتستهدفها. ومثل هذا العمل، في حال إقدام الجيش الإسرائيلي عليه، محفوف بالمخاطر ومكلف عسكرياً، في أثناء العملية البرية¹⁹.

2. الصواريخ المضادة للطائرات والمروحيات

ما يزيد العملية العسكرية البرية الموسعة تعقيداً امتلاك المقاومة صواريخ "SA-7" المضادة للطائرات والمروحيات على ارتفاعات منخفضة، وهي صواريخ سوفياتية قريبة المدى تحمل على الكتف من نوع أرض - جو، إضافة إلى قذائف صاروخية وذخائر متنوعة حصلت عليها من ليبيا بعد انهيار نظام الرئيس معمر القذافي²⁰، وكذلك صواريخ كورنيت²¹ التي دخلت الخدمة منذ «معركة الفرقان» عام 2008، وهو ما منح المقاومة ميزة نسبية متمثلة في قدرتها على التعامل مع أي هجوم عسكري بري. وقد أظهرت عناصر المقاومة قدرة كبيرة على استخدام الكورنيت بمهارة واحترافية²². وكشفت كتائب القسام، أول مرة، عن إدخال

16 "أعنف ليلة بغزة.. عشرات الشهداء والجرحى بقصف إسرائيلي غير مسبوق"، الجزيرة نت، 2023/10/23، شوهد في 2023/10/23، في: <https://shorturl.at/vBCFP>

17 Unrwa, *Situation Report 6 on The Gaza Strip & the West Bank*, 16/10/2023, accessed on 16/10/2023, at: <https://shorturl.at/gjY07>

18 الكيبوتسات: هي مستوطنات زراعية وعسكرية تضم مجموعة من المزارعين والعمال اليهود في تجمع سكني تعاوني يعيشون ويعملون سوياً، ويبلغ عددهم ما بين 40 و1500 عضو.

19 أحمد قاسم حسين، "كتائب القسام ومعركة 'سيف القدس': إمكانات الردع النسبي في حرب غير متناظرة"، أوراق استراتيجية، وحدة الدراسات الاستراتيجية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021/6/24، شوهد في 2023/10/22، في: <https://shorturl.at/knyFJ>

20 "رئيس الشاباك يزعم أن حماس تمتلك 8 آلاف صاروخ و15 ألف مقاتل"، المركز الفلسطيني للإعلام، 2012/6/2، شوهد في 2019/12/19، في: <https://rb.gy/km3h1>

21 صاروخ مضاد للدروع، كالدبابات والمركبات المدرعة الخفيفة والتحصينات والأهداف الجوية المنخفضة الطيران، وهو روسي الصنع قام بتطويره مكتب تصميم الأجهزة التابع للشركة الروسية KBP، موجه ومصوب بأشعة ليزر على نحو نصف أوتوماتيكي، بحيث يصوب الرامي الصاروخ نحو الهدف، ويوجه علامة تصويب الصاروخ حتى الإصابة، ينظر:

"Kornet-E 9M133 AT-14 Spriggan Antitank Guided Missile System," *Army Recognition*, 25/7/2018, accessed on 1/2/2020, at: <https://bit.ly/2vg44pf>

22 "شاهد: كتائب القسام تبث فيديو لاستهداف حافلة جنود إسرائيليين بصاروخ موجه"، الجزيرة نت، 2021/5/20، شوهد في 2021/6/2، في: <https://bit.ly/3we7c9n>

منظومة «متر 1» إلى الخدمة، وهي منظومة دفاع جوي مخصصة للتعامل مع طائرات الجيش الإسرائيلي في معركة طوفان الأقصى²³.

3. الطائرات المسيّرة الاستخباراتية والهجومية

إن نجاح كتائب القسام في استخدام طائرات من دون طيار محلية الصنع، على الرغم من أنها ذات قدرات كلاسيكية، يعكس مدى التصميم، وخلفية الاستعداد للمواجهة؛ ولذلك تمكنت من الجمع بين توظيف جهودها الحربي وتحركها السياسي وحربها النفسية ضد الإسرائيليين، وذلك في ظل ما تواجهه وما تمر به من ظروف صعبة. وتمكنت كتائب القسام من تصنيع طائرات من دون طيار أطلقت عليها اسم «أبائيل 1»، وأنتجت منها ثلاثة نماذج، وقد أشرف عليها المهندس التونسي محمد الزواري، الذي اغتيل في 17 كانون الأول / ديسمبر 2016، وهي:

• طائرة "A1A": ذات مهمات استطلاعية.

• طائرة "A1B": ذات مهمات هجومية (إلقاء صواريخ).

• طائرة "A1C": ذات مهمات هجومية - انتحارية.

اللافت للانتباه في معركة «سيف القدس»، إعلان كتائب القسام عن دخول أنواع جديدة من الطائرات المسيّرة الخدمة العسكرية بمزايا تكنولوجية متطورة، وهي بالطبع لا تقارن بالأنواع التي تنتجها إسرائيل وتصدرها لدول عديدة، لكنها تشكّل، في ظل ظروف مواجهة عسكرية غير متناظرة بين المقاومة وإسرائيل، مؤشراً دالاً على ما تقوم به كتائب القسام من تحديث وتطوير مستمرين في أثناء الحصار الخانق الذي يعانيه قطاع غزة. وقد أطلقت على المسيّرة الاستطلاعية اسم «الزواري»، ونشرت صوراً جوية التقطتها الطائرة المسيّرة الجديدة بعد أن نفذت طلعات رصد واستطلاع لأهداف ومواقع شملت تمرکز قوات الاحتلال والآليات العسكرية في الداخل الإسرائيلي، وعادت إلى قواعدها بسلام. وأدخلت إلى الخدمة العسكرية أيضاً طائرات مسيّرة هجومية تحمل أيضاً اسم «الزواري» في معركة طوفان الأقصى، فضلاً عن طائرات مسيّرة هجومية من طراز «شهاب» محلية الصنع، استهدفت بها منصة الغاز قبالة ساحل غزة. ويجري إطلاق هذه المسيّرات من منصة تشبه المنجنيق؛ تقذفها في الهواء، ومن ثم تحلق في اتجاه الهدف المبرمج مسبقاً، وتحمل الطائرة من دون طيار رأساً متفجراً يصطدم بالهدف في مهمة كاميكازي²⁴.

4. الأنفاق القتالية: شرايين المقاومة

شكّلت الأنفاق القتالية درعاً للمقاومة من كثافة القصف الذي تعرض له قطاع غزة خلال معركة طوفان الأقصى، ولم تعد مجرد مكان لتنفيذ العمليات القتالية خلف خطوط العدو، بل هي الحصن المنيع الذي يسهم في حماية قادة المقاومة السياسيين والعسكريين، حيث توجد غرفة العمليات العسكرية. لقد قللت هذه الأنفاق من الخسائر البشرية في صفوف المقاومة. وبفضلها، لم تتعرض بنياتها التحتية العسكرية إلا لضرر طفيف. وبحسب ما أكد رئيس حركة حماس في قطاع غزة، يحيى السنوار، بعد مواجهة سيف القدس عام 2021، يوجد

23 "شاهد.. القسام تكشف لأول مرة عن إدخال منظومة دفاع جوي للخدمة"، الجزيرة نت، 2023/10/9، شوهد في 2023/10/16، في: <https://shorturl.at/izAT0>

24 "طائرات 'شهاب' الانتحارية محلية الصنع التي أدخلتها كتائب القسام الخدمة خلال معركة سيف القدس"، الجزيرة نت، 2021/5/13، شوهد في 2021/6/4، في: <https://bit.ly/3zF1B15>

ما يزيد على 500 كيلومتر من الأنفاق الهجومية والدفاعية. أما الضرر الذي أصابها، فلا تزيد نسبته على 5 في المئة²⁵.

تمثل شبكة الأنفاق القتالية عاملاً مهماً في قرار العمل البري الذي يحضر له جيش الاحتلال الإسرائيلي، فهي قد تعرقل هذا العمل، لا سيما أن كتائب القسام أثبتت قدرةً، عبر تلك الأنفاق، على تنفيذ عمليات في قلب التجمعات الاستيطانية، وخصوصاً أنها قد توفر لمقاتليها قدرةً على التسلل خلف خطوط القوات المتوغلة؛ ومن ثم مهاجمتها في أثناء العمليات العسكرية ضد قطاع غزة، إضافة إلى أن هذه الأنفاق يمكن أن تُستخدم في عمليات خطف الجنود. توجد تحت مدينة غزة، إذًا، شبكة واسعة ومتشعبة من الأنفاق تمنح كتائب القسام قدرةً على المواجهة العسكرية في حال قيام إسرائيل بعمليات برية في القطاع، وتمنح قيادتها العسكرية والسياسية، أيضًا، قدرةً على إدارة سير المعركة في أماكن محصنة ومنيعة.

5. الإرادة والعزيمة اللتان يتمتع بهما المقاتل الفلسطيني

يقاوم أفراد المقاومة المسلحة على أرضهم ومن أجلها. صحيح أن جغرافيا غزة مستوية ولا توفر للمقاتل الفلسطيني أفضلية في القتال على غرار بلدان أخرى شهدت حروبًا لامتناهية (أفغانستان، وفيتنام، وجنوب لبنان)، إلا أن المقاتل الفلسطيني يعرفها جيدًا، ويحاول أن يسخرها في خدمة عملياته الدفاعية عبر الاشتباك مع الجيش الإسرائيلي من «مسافة صفر» داخل الأحياء السكنية، وهي عملية بالغة الخطورة والتعقيد بالنسبة إلى جيش كلاسيكي في مواجهة كتائب مسلحة. ثم إن العامل النفسي/ الروحي ذو تأثير مهم في مسار العمل العسكري البري؛ يقاوم الفلسطيني من أجل أرضه وليس له سواها، بعزيمة تتطلع إلى الموت في سبيل وطنه، وفي الوقت ذاته يقاوم الجندي الإسرائيلي من أجل البقاء حيًا في الحرب البرية التي تشكّل عامل ضغطٍ عليه من الناحية النفسية كلما جرى تأجيل قرار تنفيذها.

خاتمة

على الرغم من أن الصراع بين الإمكانيات العسكرية للمقاومة وجيش الاحتلال الإسرائيلي غير متكافئ، فإن المقاومة استطاعت، عبر تراكم الخبرات، تطوير قدراتها العسكرية والهجومية، وتحقيق نوع من النجاح العسكري، في الساعات الأولى من هجوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر، وفقًا لخطة العمليات التي وضعتها، ولكن لا بد من الوقوف على ما رافق تنفيذ هذه الخطة من خلل، وذلك من خلال مسألتين مهمتين شكّلتا إرباكًا للمقاومة بعد امتصاص الجيش الإسرائيلي الصدمة وتحضيره لعمل عسكري موسع ضد المقاومة في قطاع غزة:

- المسألة الأولى: دخول المدنيين الغزيين الكيبوتسات الإسرائيلية وما رافقه من حالة الفوضى، واحتجاز عدد من المدنيين بعد هجوم المقاومة وسيطرتها، على نحو ما، في مناطق «الخط الأخضر»، وهو أمرٌ قد لا تكون المقاومة وضعته في حسابها عند وضع خطتها العملياتية المتقنة عسكريًا.
- المسألة الثانية: احتجاز عدد من الرهائن المدنيين من سكان الكيبوتسات، ورهائن آخرين ذوي جنسيات أجنبية لدول مختلفة، وهو ما شكّل عبئًا عسكريًا وأخلاقيًا على المقاومة التي دخلت في حالة من الإرباك في الأيام الأولى من الحرب، إلى أن تراجع الناطق العسكري لكتائب القسام عن تنفيذ وعيده المتمثل في إعدام رهينة مدنية في حال قيام إسرائيل بقصف قطاع غزة من دون سابق إنذار، إدراكًا من المقاومة

²⁵ السنوار: ننذر الاحتلال بأن قرار زواله مرهون بالمسّ بالقدس والأقصى"، الجزيرة نت، 2021/5/26، شوهد في 2021/6/5، في: <https://bit.ly/3zvKu56>

خطورة الدعاية الإعلامية الإسرائيلية التي تركز على شيطنة النضال والمقاومة الفلسطينيين، وربط أفعال المقاومة بممارسات تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش» الإرهابية، وقد تأثر الإعلام الغربي بالرواية الإسرائيلية. تداركت المقاومة ذلك من خلال استعدادها للإفراج عن الرهائن، وقد أطلقت سراح مواطنين أميركيتين بوساطة قطرية، وأطلقت سراح محتجزين إسرائيليين (نوريت يتسحاك، يوخذ ليفشيتز) لدواعٍ إنسانية، بعد أن رفض الاحتلال الإسرائيلي استلامهما سابقاً برعاية قطرية ومصرية. وبناءً على ذلك، فإن إفراج المقاومة عن الرهائن المدنيين قد يكون خطوة في الاتجاه الصحيح في مسار المعركة العسكري، وعلى المقاومة التركيز في ورقة الجنود الأسرى لديها؛ وذلك في أي شكل من أشكال التفاوض التي قد تجري في إطار العمل العسكري للجيش الإسرائيلي وإدارة المقاومة للمعركة.

المراجع

العربية

أبو عامر، مجد ووديع العرابيد. «الحرب الإسرائيلية على حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين: خلفيات معركة 'وحدة الساعات' وآثارها الاستراتيجية». **ورقة استراتيجية**. رقم 6. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2022/9/20. في: <https://bit.ly/3OtcL66>

حسين، أحمد قاسم. «كتائب القسام ومعركة 'سيف القدس': إمكانات الردع النسبي في حرب غير متناظرة». **أوراق استراتيجية**. وحدة الدراسات الاستراتيجية. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. في:

<https://shorturl.at/knyFJ>

«رئيس الشبابك يزعم أن حماس تمتلك 8 آلاف صاروخ و15 ألف مقاتل». المركز الفلسطيني للإعلام. 2012/6/2. في: <https://rb.gy/km3h1>

«عملية 'طوفان الأقصى': انهيار الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه غزة». **تقدير موقف**. وحدة الدراسات السياسية. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2023/10/12. في: <https://rb.gy/c9xei>

«كلمة الناطق العسكري باسم كتائب عز الدين القسام عن مجريات معركة 'طوفان الأقصى'». **الجزيرة نت**. 2023/10/12. في: <https://shorturl.at/lvMU2>

الأجنبية

Ní Chúláin, Aisling. "The Iron Dome: How does Israel's Missile Defence System Work?" *Euronews*. 21/10/2023. at: <https://shorturl.at/iPS69>

Thornton, Rod. *Asymmetric Warfare: Threat and Response in the 21st Century*. Cambridge: Polity, 2007.

Unrwa. *Situation Report 6 on The Gaza Strip & the West Bank*. 16/10/2023. at: <https://shorturl.at/gJY07>

Van Creveld, Martin. *The Transformation of War*. New York: Free Press, 1991.

